لقاء مجلة (استجواب) اللبنانية

مع الأستاذ عبد الرحمن بن محمد السدحان

أجرته الأستاذة: هداية درويش

عام (١٤١٦هـ)

obeikandl.com

obeikandl.com

هل الإسلام في أزمة؟

سؤال

•• هناك مقولة تدعي أن جزءاً من البلاء الذي يتعرض له العالم الإسلامي مرده سلوكيات بعض المسلمين أنفسهم، مما يؤلّب القلوب والعقول ضدهم في أماكن أخرى من العالم وربما تتحرّك نزعة المؤامرة عليهم. يضاف إلى ذلك نظرية المؤامرة التي أصبحت تحتل ركناً هاماً في العقل العربي، يلجأ إليه العقل متى أراد أن يهرب من مواجهة المشكلات التي تعترضه... ما هو تعليقك على ذلك؟

الجواب

• هناك قدر غير هين من الحقيقة في هذه المقولة، والذي يرى خلاف ذلك... هو مكابر أو جاهل، ويفترض نظرياً أن سلوكيات أي شعب، في أي مكان مرآة يراه من خلالها الآخرون... فيحكمون عليه، إنّ خيراً أو شراً.

obeikandi.com

لكن عملياً، الناس ليسوا سواء، حتى لو خرجوا من رحم واحد، وعاشوا تحت سقف واحد، فهم يأتلفون في شيء، ويختلفون في أشياء، ومن ثم، تتباين أنماط سلوكهم تبعاً لذلك. إذن، فمن الخطأ الاستدلال بفعل الجزء على الكلّ، أو محاكمة الأغلبية في شعب استشهاداً بما تفعله الأقلية منه.

ويتعيّن أن ندرك هنا حقيقة نفسية واجتماعية معاً. وهي أن لدى الناس، كل الناس، ميلاً فطرياً إلى «التعميم» في «محاكمتهم» للظواهر الاجتماعية والإنسانية، مستندين في ذلك إلى مفردات السلوك الذي يأتيه فرد أو جماعة ينتمون إلى هوية جغرافية أو اجتماعية معينة، فإذا شهدوا ما يرفضون من أقوال أو أفعال يختص بها فرد أو أفراد ينتمون إلى بيئة أخرى، سارعوا إلى تعميم حكمهم على ذلك الفرد أو الأفراد ليؤذوا الباقين من الأفراد والجماعات في ذلك البلد... أو تلك البيئة.

* * *

هذه بدهيات معروفة ومألوفة، لا تحتاج إلى دليل. وقد سمعنا قديماً ونسمع الآن صيغاً وأحكاماً ألصقت بهويات بشرية عبر كوكبنا الأرضي، فقد وصف الأميركي يوماً بـ

«البشاعة» والإنكليزي بالبرود، وساكن الريف في بعض البلدان العربية بالغباء، وحديثاً، أدخلت إلى «قاموس» التعريفات العشوائية مفردات تصف إنسان الخليج والجزيرة العربية بالثراء المفرط.. والإسراف غير المقنّن في الإنفاق على أهواء النفس، مادية ومعنوية.

* * *

المسلمون كغيرهم، من المجاميع البشرية، تعرضوا ويتعرضون إلى الحكم عليهم «عشوائياً» من لدن فئات أخرى.. استدلالاً بما تفعله القلة منهم، في هذا المكان أو ذاك، فاقترنت هويتهم في بعض الأذهان، شرقية وغربية بنعوت غير حميدة، مثل الإرهاب، وسفك الدماء، والرغبة في التقوقع حضارياً داخل أسوار الماضي، ونحو ذلك.

وحديثاً، باتت قضية الإرهاب «الإسلامي» الشغل الشاغل لكثير من المراقبين والمحلّلين، ناهيك عن الأفراد العاديين، في غرب القارة الأوربية وأميركا الشمالية. وظهر في الأوساط الأكاديمية من يحذّر وينذر ضد خطر الصّدام الحضاري مع المسلمين في أرجاء الأرض، وعلى رأس أولئك البروفسور هنينغتون، من جامعة هارفارد الأميركية، عبر أطروحته

الشهيرة، التي صوّر الإسلام وأتباعه بالعدوّ الجديد للحضارة الغربية ومنجزاتها، بعد سقوط النظرية الماركسية ورموزها الكبيرة والصغيرة معاً.

* * *

إذن، فالمسلمون، كغيرهم يحاكمون عشوائياً ويدانون غيابياً من لدن الآخرين، مستهدين في ذلك ببعض السلوكيات والممارسات التي تقترف هنا أو هناك، مما لا يقره شرع ولا تصونه أخلاق. المسلمون أنفسهم ينكرون هذه الممارسات غير المسؤولة، في بعض البلدان ذات الهوية الإسلامية، خصوصاً تلك التي تقع فيها أحداث يذهب ضحيتها الأبرياء من النساء والرجال والأطفال. تارة باسم «الجهاد» ضد قوى الشيطان، وتارة أخرى لتحقيق السطوة بقبضة الحديد على الأعناق!

* * *

ولا ريب أن أفعالاً كهذه لها من المساوئ ما لا ينكره أحد، لأنها تؤاخذ الكثرة بما تفعله القلة من المسلمين، ولأنها في خاتمة المطاف، ترسم صورة غير حميدة عن الإسلام الحنيف. الذي جعله الله خاتمة الأديان، وجعل فيه من

المبادئ والمثل العليا ما يزكي الإنسانَ وبها يسمو، لأنه صيغة حياة، معاشاً ومعاداً، وليس طقوساً مفرغة من مضامين الوجود.. بما فيه ومَنْ فيه.

أمام هذا الأمر كله، ليس غريباً أن تظهر في بعض أوساط الغرب دعوات أو نزعات ضد الإسلام، ديناً وأتباعاً، فهي في تقديري، ردود فعل.. بعضها مفتعل إلى حدّ الغلوّ، والبعض الآخر تسيّره فطرة «الدفاع عن النفس».. أمام التيار الذي يصنف المسلمين ودينهم بالعداء لمنجزات الإنسان الحديث.. ممّا ينفع ولا يضر.

وهناك إشكال آخر، يتمثل في تصوّر بعض المسلمين في أن ظاهرة «رد الفعل» المشار إليها قد آلت إلى «مؤامرة» تستهدف الإسلام والمسلمين.. في كل مكان. ومع أن المسلم العاقل لا يستطيع أن ينكر وجود من يتمنّى له ولدينه كرهاً، إلا أنه في الوقت نفسه، يرفض أن «يعمم» فكرة «المؤامرة» تلك، فيجعل منها «شماعة» يحمّلها كل الأوزار والأخطاء والعثرات، حيثما كانت، ويرسم من خلالها وصفات «الاعتذار» الجاهزة لتلك الأوزار والأخطاء تبريراً أو تمريراً.

* * *

obeikandi.com

وفي تقديري المتواضع، أن تضخيم فكرة «المؤامرة» من لدن بعض المسلمين في بعض المواقع على النحو المشار إليه، أشدّ خطراً وألدّ إيذاءً مما يضمره أعداء الإسلام أنفسهم. لسبب يسير هو أن بعض «المواقف العادية» للمسلمين هي في الأصل نبتة الجهل في الإسلام، وقصور المسلمين في التعريف به، مبدأ وممارسةً، وأنه يمكن أن تروّض تلك المواقف عبر الحوار، وعبر الممارسة السويّة لمقاصد الإسلام الحنيف ومبادئه، داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها.

* * *

سؤال

•• أزمة الأمة الإسلامية، البعض يرى أنها أزمة وعي شعبي.. وآخرون يرونها أنها إفرازات لظاهرة الإخفاق في تحقيق تطلعات أفراد المجتمع نحو حياة أفضل، ماذا ترى فيها؟

الجواب:

• هذا السؤال قاس، يستحق أن يفرد له كتاب، وما أحسب أنني في ملكاتي الفكرية المتواضعة بقادر على التصدّي له على نحو يشبع فضول السائل. من جهة أخرى، فإن المكتبة

obeikandl.com

العربية تعجّ بعشرات المصنّفات التي تتناول موضوع السؤال من مداخل مختلفة، وطروحات متباينة.

الكل يجمع على وجود أزمة من نوع ما في دنيا المسلم، لكنهم يختلفون في تشخيص هذه الأزمة:

– فهناك فرقة تعرّف أزمة الأمة الإسلامية في الابتعاد عن الله، والإغراق في طلب الدنيا، مصالح ولهواً.

– وهناك فرقة أخرى تعرّفها في الإخفاق في تحقيق توازن سويّ بين معادلة الدين الحنيف، وتحديات العصر الحديث، حيث انقسم الناس إلى فئات ثلاث على الأقل:

١- فئة الاستلاب في كل ما هو حديث والاستسلام له، و«الهجرة» إليه بعيداً عن الجذور.

٢- فئة الاغتراب صوب الماضي، هرباً من تحديات العصر وأزماته، وخوفاً من الانزلاق في متاهة التناقض بين طقوس العصر وما ترتبه هوية الالتزام بالدين، كما تراها، مبدأ وممارسة.

٣- فئة يعاني أصحابها قدراً من الانفصام روحاً وسلوكاً، فهم لا ينتمون لا إلى هؤلاء، ولا إلى أولئك، ويبحثون عن صيغة «توفيقية» تنهي حالة انفصامهم الفكري والروحي، وتحقق لهم التوازن المطلوب بين الدين والحياة.

وقد تأتي فرقة ثالثة أو رابعة أو خامسة بتفسيرات أو تأويلات أخرى للأزمة.

وهنا، نعود إلى مضمون السؤال المطروح في هذا اللقاء فنقول: إن مسألتي «الوعي الشعبي» و«الإخفاق في تحقيق الطموحات» اللتين خصهما السائل بالذكر تدخلان ضمناً تحت مظلة الفجوة عن الإخفاق في استيعاب المضامين الحقيقية السامية للدين الإسلامي، كمعادلة للدارين، العاجلة والآجلة، من جهة، والتكيف مع متغيرات العصر وتحدياته من جهة أخرى، وهذا، في ظني، أبرز المؤشرات اللازمة التي يعيشها مسلم اليوم. وأحسب أنها لن تنتهي طالما عانى المسلم المعاصر حالة من «الغربة» بين هويته الدينية، وبين حيثيات العيش في هذا العصر المتخم بالاكتشافات والتغيّرات التي لا تخضع إلى نصاب واحد، كمّاً أو كيفاً.

* * *

سؤال

•• البعض يرى أن ما يعرض على شاشات الكثير من القنوات الفضائية العربية لا يعدوا كونه عن مؤامرة على الوجدان العربي لسلخه عن هويته.. واقتلاع جذوره في أسلوب غنائي.. استعراضي..

openkandil.com

راقص.. رأيكم في هذا، وهل نتعرض لغزو فكري ثقافي.. عربي؟

الجواب:

• بدءاً أتساءل بدوري: لماذا تعتبرون حصاد الشاشات الفضائية «مؤامرة» على الوجدان العربي من أجل سلخه عن هويته، ولماذا الوجدان العربي وحده؟ أليس من الجائز القول إن ما تحمله هذه الشاشات من ضرر، يهدد هوية الوجدان الإنساني قاطبة، شرقيّة وغربيّة، عربية وعجمية، يحوّله إلى شبح استعراضي.. راقص؟!

وإذا كنا نحن معشر العرب، نرى في هذا الحصاد «مؤامرة» للإطاحة بهويتنا، فقل لي ماذا ننقذ به «وجداننا» المصون من ذلك الخطر؟ ثم، ألسنا «شركاء» في صنع وعرض كثير من الغثاء الذي تبثه بعض هذه الشاشات ولسنا في كل الأحوال «متلقين» فقط لما يصنعه إعلام الغرب. من الذي جنى على الأغنية العربية، فجردها من عفتها وهيبة النغم فيها؟ أنحن العرب أم الغرب؟ من الذي ابتدع صرعة «السح الدح» و«الإيقاع الراقص» الذي يهز الخصر لا الوجدان؟ أنحن العرب.. أم الغرب؟

أخيراً.. ماذا يفعل رواد الفن، إذا كانت الشريحة الشابة في الوطن العربي وهي «المستهلك» الأكبر لمنتجات الفن، مسموعة ومرئية، تفضل الألوان التي يعترض عليها السؤال، ويعتبرها «مؤامرة» على الوجدان العربي؟! والواقع أن الفن، في مفهومه وممارساته المعاصرة ليس إبداعاً فحسب، لكنه «بزنس» يخضع لديناميكية السوق، عرضاً وطلباً، ربحاً وخسارة ولذا، فلن نستغرب أو ننكر رد فعل فنان يواجه بهذا السؤال، حين يقول: لا تلمني.. لُمِّ السوق. المستهلك يريده كذلك..!

* * *

سؤال

•• وصفت الكتابة مرة بأنها رئتك الثالثة ماذا تعني بهذا؟

الجواب:

• أستأذن القارئ الكريم أن اقتبس ما كتبت حول الموضوع نفسه قبل نحو سبع سنوات، حين قلت في زاويتي اليمامية «غصن الزيتون» بعنوان «الكتابة رئتي الثالثة» ما يلي:

obeikandl.com

«... الكتابة بالنسبة إلي كالهواء، لا عوض لي عنها ولا بديل ، هي رئتي الثالثة، وهي الصراط الموصل مع من يسعدني الحظ في لقائهم عبرالحرف. وهي وسيلة التعبير عن غاية أروم من خلالها خدمة هذا الوطن الغالي.. بما أراه رافداً لنموه، محققاً لعزه، معضداً لكبريائه، وحرماني منها يعني بتر واحد من شرايين بقائي..».

* * *

سؤال

•• عنوان زاويتك في عكاظ «نكون أو لا نكون» ماسبب اختيارك لهذا العنوان؟

الجواب:

• «الكينونة» المقصود هنا تحمل مقاصد طوبائية لما «يجب» أن يكون عليه حال أمر من الأمور ضمن مفردات حياتنا، وهي تعني حالة من «المواجهة» مع مفردات اليأس والهزيمة والانكسار في حياتنا في بهدف كسب الجولة القاضية ضدها لصالح الخير والتفاؤل والإبداع وكل القيم الجميلة التي يبتغي منها الإنسان «كينونة» حياتية أفضل، وبدونها لا يكون.

obeikandi.com

سؤال

•• مـاذا تفعل حين تواجه أعـداء الـنجـاح... والإبداع؟

الجواب:

• أفعل ما يفعله المؤمن السويّ العاقل بالتجاهل أولاً، وإن لم أستطع، فبالنصيحة، فإن لم أستطع، فالدعاء لهم.. ولي.

* * *

سؤال

•• متى ترى أن الصمت.. يكون أبلغ من الكلام؟

الجواب:

• الصمت لغة لا سكون، وهو أحياناً أبلغ تعبيراً من لغة الكلام، خصوصاً بين المحبين، وهو بعد ذلك البديل المفضل حين تفشل مهمة الكلام، وأفضل حسنات الصمت أنه يرغم الطرف الآخر في حال النزاع على الصمت، والإمساك عن الكلام غير المباح، وتوظيف فضوله لتفسير موقف الصمت الذي يمارسه غريمه!

obeikandl.com

سؤال

•• بماذا تخترق حاجز التشاؤم؟

الجواب:

• التشاؤم هزيمة واستسلام، وهناك أكثر من وسيلة للتفوق عليه أوّلها الإيمان بالله، ثم التسليم بأن « الفشل» درب من دروب النجاح، وأن النجاح نفسه لا ينال إلا غلاباً، وبالتالي لابد من تجديد المحاولة، مرة بعد أخرى، لبلوغ الغاية المرادة، شريطة أن يقترن التجديد بتقويم الخطوة السابقة كيلا يتكرّر الخطأ فيصطدم المرء بحاجز اليأس والعياذ بالله.

* * *

سؤال

•• ما قيمة العزلة لديك؟

الجواب:

• ليست هناك عزلة مطلقة سوى عزلة «اللحد». لأن المرء يستمتع معها بحضور ذاته ويقظة ضميره وصفاء عقله، فينجز من الأمور ما لا يتاح له بلا عزلة. ثم إن للعزلة

obeikandi.com

إيجابيات تجنب صاحبها أضراراً، من بينها مجالسة رفاق السوء، وأكل لحوم الأبرياء بالإفك أو الغيبة أو النميمة.

* * *

سؤال

•• من هي الكاتبة التي تحضّك على القراءة في زمن «الفضائيات التلفزيونية»؟

الجواب:

• ليست هناك كاتبة معينة ولا كاتب معين يحرّضني على القراءة، في حضور «الفضائيات التلفزيونية» أم غيابها، لكن هناك النص المبدع الذي ينتشلني من وحدتي، أو من فراغي، أو من لهوي. ليس في الضرورة أن يكون هذا النص «مؤنثاً» أو «مذكراً»، بل ليس هذا مهماً على الإطلاق، لأن الإبداع لا جنس له ولا هوية! «قرية الإبداع» تحتضن الذكور والإناث، من جميع الألوان والأجناس، والنصّ المبدع هو «المواطن» الأول والأخير في هذه القرية!

* * *

obeikandl.com

سؤال

•• أحد الكتّاب المعروفين يصف غادة السمان بأنها فيروز الكلمة، وعبد الحليم الحرف، وماجدة الرومي الصدق، وعبد الوهاب الأصالة. ماذا ترى في غادة السمان؟

الجواب:

• غادة السمان هي كل ما ذكر أعلاه والأهم من ذلك أنها زنبقة جميلة في غابة الحرف، وهي كتلة من المواهب، يتقدمها حسّ مرهف، وخيال جميل، وريشة عذبة!

* * *

سؤال

•• كونك مختصاً في الإدارة، هل استطعت القضاء على الروتين الإداري.. إلى حد ما في إدارتك؟

الجواب:

• إذا سلمنا بدءاً بأن «الروتين» هو مجموعة الضوابط والقواعد والإجراءات للعمل الإداري، جاز لنا القول بأن

openkandi.com

«الروتين» معيار أداء يتعين بقاؤه، وليس ورماً خبيثاً يجب استئصاله!

وإذن، يتعذر القضاء على «الروتين» لأن ذلك يعني تعطيل قدرات الإدارة في أداء مهماتها.

لكن «الروتين» وفقاً للمفهوم الذي أوردته في فاتحة هذا الرد يجب أن يخضع في كل الأحوال إلى المراجعة والتقويم، ليبقى منه ما كان صالحاً، ويستبعد ما كان خلاف ذلك. والمعيار المسيّر لعملية التقويم هذه هو تحقيق مرونة أكبر في الأداء، تفرز عائداً أفضل في خدمة المستفيد من الخدمة، لأن الإدارة في المطاف الأخير وسيلة لا غاية.

ويسرني أن أختم القول إنني ومن معي نعيش هذه الفلسفة هاجساً عملياً في الأمانة العامة لمجلس الخدمة المدنية، منذ نشأتها، قبل نحو تسعة عشر عاماً.

* * *

سؤال

•• العنف... والتطرف في العالم، ماذا تقول فيهما؟

الجواب:

• العنف والتطرف إذا ما اقترنا، وتلازما، وجهان لعملية واحدة، اسمها الجهل. والجهل، كالفقر والمرض، واحد من ثالوث البلاء الذي يعرض الإنسان للبوار، ويصادر منه القدرة على تحقيق الكينونة السويّة، في عالم يضطرب بالحقد والحسد وصنوهما: الحرب!

* * *

سؤال

•• المرأة... عند عبد الرحمن السدحان «الكاتب».

الجواب:

• المرأة عندي هي الأم التي حملتني وهناً على وهن، وهي الزوجة التي قاسمتني ولم تزل، رحلة العيش في زورق الحياة، وهي المواطنة التي أزهو بها رفيقة أداء... وشريكة عشق لهذا الوطن، وبمعنى آخر، المرأة عندي.. هي المرأة التي إذا نظرت إليها.. شعرت بهيبة العطاء.. ونفحة الإلهام!

* * *

obeikandl.com

سؤال

•• متى تكتب؟

الجواب:

• ليس بيني وبين الكتابة عقد مكتوب ينظم مواعيد زيارتها وإقامتها... وعطائها، فهي تزورني متى شاءت، لا حين أشاء، ليلاً أو نهاراً، وهي تعطيني بمقدار ما تستشرفه أو تستقرئه من فرح الدنيا وترحها. وعندي أن الكتابة المبدعة لا تخضع إلى ضوابط الزمان أو المكان.. وهي تخترق فضاء الخاطر.. بلا إذن ولا موعد، وتغادره متى شاءت. في معظم زياراتها تجلب إلهاماً جديداً: إمّا سحاباً يقطر أملاً، وإمّا حمماً تمطر ناراً!

وعلى أي حال، لست كاتباً محترفاً حتى أخضع الكتابة لشروط أحددها بدءاً، زماناً ومكاناً وحتى لو كنت كذلك، فإنني أفضل أن تبقى «العصمة» في يد الكتابة.. لا في يدي!

* * *

سؤال

•• ما تعليقك على الكلمات التالية: الحزن ـ الحب ـ الحياة ـ الموت ـ الليل ـ القمر ـ الدموع؟!

obeikandl.com

الجواب:

- الحزن: واحد من الفصول الأربعة في «أجندا» العمر!
- الحب: رياضة القلب!
- الحياة: شريط عبور بين الميلاد والموت!
- الموت: استراحة المحارب... وستر المحب!
- القمر: فقد عذريته يوم «زاره» الإنسان!
- الدموع: في عيني المرأة سحر... وفي مقلتي الرجل.. وقار!

* * *

سؤال

•• ما هو السؤال الذي كنت ستتحفّظ عليه في هذا اللقاء؟

هذا السؤال... بعينه!

* * *

obeikandl.com